مجلة المرابط

العدد : ٢٠٦ الموافق في شوال ١٤١٩ هجري ٢ / ١٩٩٩ ميلادي

وجهة نظر: الهجوم الأمريكي على العراق بين غياب الوعي العربي .. واستفحال المؤامرة	بقلم : نوال السباعي

وجد العالم العربي والإسلامي نفسه - قبل أيام من بدء شهر رمضان المبارك ١٤١٩ هـ - أمام أحد التحديات المباشرة لعقيدته ، ووجوده ، وكرامته .. وذلك عندما قامت الطائرات الأمريكية والبريطانية بهجمة أقل ما يمكن أن توصف به أنها " قذرة " ، وهي التي تستهدف حُرمة شعب كانت قد أنهكته سنوات الحصار السبعة ، وفعلت في كيانه ، وإنسانيته ، ما لم تفعله سبعة وثلاثون عاماً من الحصار شبه المطبق على كوبا !! إلا أن محنة الشعب العراقي تمثلت في حصره ومقاطعته وتركه وحيداً بين براثن الاستبداد المجرم ، والعدوان السافر ، وتخلي إخوانه من المحيط إلى الخليج عنه ، وكأن قدره قد اجتُثَّ من أقدارهم ، ووجوده قد ألغي من وجودهم ! .

لكن التحدي الأكبر الذي مارسته الولايات المتحدة الأمريكية ضد الإنسانية والحرية والكرامة... كان في إصدار الرئيس الأمريكي بياناً للأمة الإسلامية ، عقب ضرب الشعب العراقي الأعزل ، يعلن فيه احترامه للإسلام ، ومراعاته لمشاعر المسلمين ... الذين يظن فيهم العته .. والحمق .. والغباء !!! والذين خيبوا ظنه وعرفوا بصمتهم وبكلامهم وبتحركاتهم المحدودة - على قلتها - أن يعبروا هذه المرة عن وقوفهم مع الشعب العراقي ، وأن يُفهموا الولايات المتحدة الأمريكية ، أن الأفعال هي التي تؤخذ بعين الاعتبار ، لا بيانات رؤسائها ، ولا تصريحاتهم... وقد أثبت الشارع العربي أنه قد فهم وبشكل لا لبس فيه أن المعركة هي مع هذه القوى المعتدية بصلف وتعنت ، وليست مع الأنظمة العربية التي وجدت نفسها في أحرج موقف تاريخي ، خاصة وهي تلتزم الصمت في مثل هذه الأيام العصيبة التي شعر فيها المواطن العربي المسلم بالمهانة ، والذل .

ماهي أسباب هذه الهجمة ؟

إننا نجد أنفسنا مضطرين إلى السؤال عن أسباب هذا العدوان الغاشم على شعب العراق ، وعلى دولة العراق ، وعلى وجود العراق...خاصة وأن رؤوس هذه الحربة الغربية الحاقدة المتمثلة في الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ، كانوا قد أعلنوها جهاراً نهاراً ، دون حياء ، ولا مراوغة... بأن حملتهم هذه لا تستهدف النظام العراقي ، ولا رأس هذا النظام ؟!!

إذاً لماذا ضربت العراق ؟؟ وهل أخطأت الصحافة الغربية عندما صدّرت صبيحة الضربة صفحاتها

الأولى وبشكل مجمع عليه بعناوين تقول : " **عملية مونيكا** " ويوم تم الإعلان عن وقف الأعمال الهجومية صدّرت صحيفة " **الموندو** " عناوينها بالقول : " **عملية مونيكا التي تشمئز منها النفوس .. انتهت ! ٩٨/١٢/٢١** " فإذا تركنا هذه العناوين ، وهذه التسميات دون تعليق وهي التي أفاض العامة والخاصة في تحليلها ومعرفة أبعادها ، وعلاقة مكانة كلنتون في الحكم بتصرفاته الخارجية ، يستوي في ذلك قصفه لأفغانستان والسودان أو تهريجه مع المهرجين في المجلس الوطني الفلسطيني في غزة... لينتزع منهم إقراراً جماعياً علنياً بإلغاء ثلاثة أرباع الميثاق الفلسطيني !! أو تصرفاته مع كوبا ، أو محاولة وزارة خارجيته تمويه الحقائق المريعة الكامنة وراء انكشاف قضية " **بينوتشه** "... وما تنطوي عليه من تورط كل من الولايات المتحدة وبريطانيا في تلك الحروب الأهلية التي كانت تستعر في بلاد جنوب أمريكا ، كما في معظم بلدان العالم الثالث ، نيابة عن الغرب والاتحاد الروسي في حربهما التي كانت باردة في أرضهما فقط !... فلقد كان هؤلاء يصدرون النظريات والمبادئ ، كما يصدرون الأسلحة التي تستعملها بقية شعوب العالم لتقتتل بها في سبيل دفاعها عن عن تلك النظريات وهاتيك المبادئ .

إذاً ما هي الأهداف الحقيقية لهذه الهجمة الغاشمة على هذا الشعب الذي نمت فيه السلطة بشكل سرطاني على حساب الدولة ، كما قال أحد المفكرين العراقيين ، وعاش فيه الظلم على حساب الإنسان ، الذي طال صبره وانتظاره للفرج ، وأتاه الفجر الأول من رمضان مع القنابل والصواريخ ومزيد من الدمار والبطش والحرمان !! .

إذاً ما هو الهدف من هذه الحملة ؟؟ هل هو تدمير هذا البلد بناءً وإنساناً مع الحفاظ على مكانة قيادته ، بل تثبيت أركانها ليس في هذا البلد المنكوب فحسب ، بل في مجمل أرجاء هذا الوطن الذي ابتلي بالنسيان ، ومد الزخم القومي المشوه وسحب بساطه على هذه الأمة التي ما كادت تنهض من عثرتها ، وتدخل مرحلة الصحوة الإسلامية الحالية ، التي تغلب فيها الكم على الكيف ، حتى انبرى لها كل ناعق من الأبواق الإذاعية والتلفزيونية المنتشرة عبر الفضائيات ، لتدس السم في الدسم ، وتستغل جهل الشارع العربي فتعيد النعرات الوطنية ، والطائفية ، إلى ما كانت عليه مبررة بذلك العودة إلى شعارات القومية...تحت قيادة..." صدام حسين" !!!

هذه واحدة .. وأما الثانية فإنما هي دفن الحقائق خلف شاشات التلفزة الخضراء التي تقدم للعالم أحداث حرب الكترونية لا تمت بشيء إلى واقع ما يجري .. فلا عدد الصواريخ التي أطلقت ، ولا عدد

البوارج التي أبحرت ، ولا القوات التي تحركت ، ولا الطائرات التي زرعت الرعب والهول في قلوب من بقي على قيد الحياة من أولادنا في العراق .. كل هذه الحملة بعددها وعتادها لا تتناسب مع حجم الخسائر المعلن عنها ؛ لا في الأرواح ولا في البنية التحتية التي التي أعلن العدو عن نيته جهاراً في تدميرها !! .

فأين ضربت هذه الصواريخ ، وماذا ضربت ؟ وأين الخراب الذي كان المنطق يستدعي أن ينتج عنها ؟؟ وهل كان النظام العراقي ليتورع عن كشف هذا الخراب أمام الرأي العالمي أو يتأخر في عرضه على شاشات التلفزة !!؟ .

أم أن هناك اتفاقيات سرية .. تتخلص عن طريقها الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا من أسلحتها القديمة ، وتدفع عجلة صناعة أسلحتها الفتاكة نحو الأمام بأموال العرب الخائفين من صدام ، والمرغمين على قبول هذا الواقع ، لأن إخوانهم كانوا قد خذلوهم يوم قام صدام باجتياح دولة شقيقة ، وقتل أهلها وهتك أعراضهم .. وحرق بيوتهم وآبار نفطهم !!

وكان أعظم من ذلك وقوف الشارع العربي معه...وهو- أي هذا الشارع - الذي دغدغت عواطفه بشعارات الوحدة العربية ، والأمة الواحدة ، حتى رضي بإقامة الوحدة ولو عن طريق ارتكاب جريمة تاريخية ، سنتأخر كثيراً ، وكثيراً جداً عن فهم ملابساتها ، وأبعاد الخطورة في المؤامرة التي حيكت من خلالها ضد العرب والمسلمين جميعاً !.

هذا فضلاً عن استنزاف خيرات العراق خلال عقود من الزمان ، عن طريق عقود الاستثمار للتعمير ، بعد الهدم والتحطيم الذي أصابه...على طريقة ما جرى في البوسنة والهرسك... وغير البوسنة والهرسك ! من البلدان التي تهافتت الشركات الأجنبية لتساعد أهلها من خلال استثمار أموالها في بناء ما كانت قد سمحت بلادها بتدميره تحت سمع العالم وبصره !!.

وأخيراً - وليس آخراً - فإن الكشف عن العديد من المعلومات ، جعلنا نعرف - وخاصة بعد حوادث الأسبوع الأول من هذا العام الجديد - أن العراق مازال يحتفظ بقوة عسكرية لا بأس بها قادرة على إدارة معارك جوية مع طائرات الولايات المتحدة الأمريكية ، وأن البنتاغون كان قد أعلن أن قدرة صدام على ضرب جيرانه قد توقفت وعلى الأقل لمدة عام واحد !!! وأن " المجتمع الدولي " !!! يحتفظ بحقه في العودة إلى الهجوم والتدمير إذا امتنع العراق على السماح للجان التفتيش بالعودة إلى أراضيه .. وقد أعلن في ٩٩/١/٦- م - أنه ثبت للأمم المتحدة أن لجان التفتيش هذه كانت قد سربت معلومات عن العراق

ساعدت في القيام بهذه الضربة لكل من الولايات المتحدة،وبريطانيا ،وإسرائيل!!.

ألا يعني ذلك أن هذه الضربة كانت موجهة بشكل رئيسي إلى منطقة الخليج العربي ، دولاً ، وشعوبا ، وثروة .. باعتبارها - رضينا أم أبينا - معقلاً رئيسياً للعقيدة ، والأرض الخصبة التي أوت إليها الدعوة يوم حوربت في بقية أرجاء العالم الإسلامي ، وقد جاءت اليوم من خلال الفضائيات - على حياء وقصور - لتشكل أكبر تهديد ممكن لأنه ينذر بولادة جيل يعيش في ظل صحوة إسلامية لم يعرفها الشارع العربي منذ أكثر من نصف قرن ! إننا نعيش واقعاً يكشف عن نفسه بنفسه .. ويدع الحليم حيراناً ، ويشل قدرتنا على تفهم الأمور بشمولية وعمق ، لأن القضية لم تعد مقتصرة على وجودنا كأمة... ولكنها شملت تلك الأجيال القادمة والتي لم تولد بعد على ظهر هذه الأرض .

***

حقائق لا ينبغي تجاوزها !

ينبغي أن لا ننسى في زحمة العواطف الثائرة ، والغضب ، والخنق ، من هذا العدوان الأثيم القذر على شعبنا في العراق ، بأن عدو الأمة هو الولايات المتحدة الأمريكية ، وبريطانيا ، وإسرائيل ، وليست هذه الدولة العربية أو تلك ، وليس هذا الشعب العربي أو ذاك ..

كما ينبغي أن لا ننسى أن الرئيس العراقي ، ليس قائدا قومياً ولا إسلامياً ولا حتى وطنياً... وأنه ليس إلا مجرد " ديكتاتور " سام شعبه سوء العذاب. وأنه تحت الدعاوي العريضة التي تبناها عن الاشتراكية ، والحرية ، تبني أمجاداً شخصية لقط شرس يحاول حمقاً وغباء تقليد أولئك الأسود الذين كانوا خلفاء لأمة قادت العالم نحو النور والتقدم في بغداد التي كانت درة الدنيا ، والتي شهدت ولادة وحياة أكابر العلماء والفقهاء في تلك العهود التي ولت يوم أدرنا ظهورنا لعقيدتنا ودیننا وقرآننا .

وينبغي أن لا ننسى أن هذا الرجل الذي يحاول بعض وسائل الإعلام العربية اليوم - وأكثر من واحدة ! - جعله بطلاً قومياً ، لتثير من خلال ذلك الحس القومي والأفكار التي عاصرته في حينه ، وهي لا تدري أن من السخرية اليوم منافحة الإسلاميين عن القومية العربية بعد أن أصبحت لعبة بيد زعماء هذه الأمة

يجب أن لا ننسى أن هذا الرجل نفسه الذي قام بحرب طاحنة ضد إيران بالأصالة عن نفسه وبالنيابة عن آخرين .. استنزف فيها العنصر البشري ، والثروات والخيرات في كلا البلدين ، وهدر فيها ثمانية أعوام من عمر الأمة .. وهو أثمن ما ضاع في هذه الحرب .. في زمن اللهاث العالمي نحو التقدم والعلم

وإعداد الإنسان وبناء المجتمع ! . هذا ما عدا عن ما فعله من اجتياح الكويت كما ذكرنا من قبل ، والذي حطم فيه نهضة علمية اجتماعية اقتصادية ، كانت تشهدها الكويت في حينها ، وأدى ذلك إلى استقدام القوات الأجنبية التي تقوم الآن باحتلال عسكري مباشر لمعظم دول الخليج المسلم .

إلا أن الشيء الأكثر أهمية والذي يجب أن لا ننساه قط هو أن صدام الذي فشل في قيادة العالم العربي ، عن طريق شعارات البعث ، والقومية .. جاء الآن ليركب موجة خطاب إسلامي باهت يرفع من خلا شعار " الله أكبر " ضارباً عرض الحائط مشاعر هذه الأمة ، وقدرتها على الوعي ، وملكاتها العقلية ، وذاكرتها التاريخية ، مستغلاً فتوة الشارع العربي ، والذي وُلد أكثر أبنائه بعد نكسة الـ ١٩٦٧ أو بعد صدمة ١٩٧٣ .. فهو في معظمه لا يعرف شيئاً عن واقع هذه الأمة الذي كان قد كتب بالدماء ، ودُفنَ ودفن في أقبية التعذيب .. وحالت الجراح والآلام فيما بعد دون تسجيله لتعرف الأجيال حقيقة ما حدث ، لتتمكن اليوم من فهم ما يحدث .

هذه حقائق تاريخية ينبغي أن لا ننساها ونحن نحاول تحليل ما حدث ، للتخفيف بعض الشيء من آلامنا ونحن نشعر هذا العجز المرير الذي يتسرب إلى الأرواح فيجعلها تختنق بأحزانها .. ولكن هذا الحزن يجب أن لا يفت من عزيمتنا ، أو يغشى على بصيرتنا .. وأن ا يجعلنا نفهم الأمور مقلوبة مشوهة .

السؤال الخطير !

وماذا بعد ؟؟ هذا هو السؤال الذي يجب أن نبحث عن إجابة جدية له ، ونحن نبحث عن الحقيقة ، ونضع أنفسنا وجها لوجه أمام واجبنا التاريخي وأمام ضمائرنا وتحديات وجود أمتنا .

ماذا بعد هذه الهجمة التي حملت الموت والدمار بدرجة أقل بكثير مما حملته من الذل والإهانة ؟ وهي تقوم باختبار قدرة العرب على الذل والإهانة ؟!!

ماذا بعد العدوان السافر .. الآثم القذر .. الذي كان بعض أهدافه ترسيخ دعائم هيمنة الغرب على مقاليد الفعل في هذه الأرض التي يظن أهلها أنهم قادرون عليها ، دون أن يحسبوا حساباً لنوع آخر من القُدرة استطاعت في أربع وعشرين ساعة شل البنية التحتية للولايات المتحدة الأمريكية مجتمعة ، وقتل ٤٨ شخصاً .. وذلك من خلال عاصفة ثلجية واحدة .. بلغ حجم الأضرار الناتجة عنها ضعفي تلك التي نالت العراق من جراء ذلك العدوان السافر .. الآثم .. القذر !! .

إن ما يعيشه الضمير العربي اليوم من ضغط ينبغي ألا يكون حائلاً دون فهم ووعي مايراد لنا وما يراد منا .. كما ينبغي ألا يصيبنا باليأس والإحباط على مرارته و قسوته .. بل ينبغي أن يكون حافزاً لنا لمزيد من العمل المتواصل البناء .. ولئن عجزنا عن العمل الجماعي ، فإن طريق العمل الفردي مفتوح أمامنا على مصراعيه .. وقد أثبتت مساحات الحرية المفتوحة هنا وهناك .. أننا على الرغم من كل ما نزل بنا ، فإن بشائر الخير هي في هذه الأنفس التي عرفت الحق وأنكرت المنكر .. والتي عرفت أن الشعب العراقي ليس هو المستهدف وحده .. ولكننا جميعاً من وجهة نظر أعدائنا نستوي.

وعلى الرغم من أن المسؤولية السياسية والتاريخية تقع وبالكامل على صدام شخصياً في كل ما يحدث اليوم على الساحة الخليجية ، فإن ذلك لا يعفي بقية الحكومات العربية من مسؤوليتها وعلى رأس ذلك كبت الحريات ، وادعاء الديمقراطية ، وسحق الإنسان بين كماشتي الجهل والظلم .. وهذا كله لا يعفينا أفراداً من مسؤوليتنا .. عن ما آلت إليه أحوال هذه الأمة .. التي أصبحت غثاءً ، وتهافتت عليها الأمم كما تهافت الأكلة إلى قصعتها .. مع بقاء بصيص النور يتألق دائماً .. وشعارٌ واحدٌ فيه كل الأمل .. { **وإن عدتم عدنا** } .. فعودتنا إلى مكاننا اللائق الذي تستوجبه العزة والكرامة مرتبطة بعودتنا إلى منابع قوتنا ، وأصل انطلاقتنا .. وسر وجودنا كأمة .. وحضارة .